فقال لعايشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم عليه السلام ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنا مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله
لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط
وجهه للعدو والكافر رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من
شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه
شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت
في ملائه حتى لا يبدو امنه شيء من اطرافه وحتى كانه على رؤس جلسائه
الطير ويتحدث مع محدثه اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق
ولا يبطل على جليسه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعايشة رضي الله تعالى عنها عن الداخل عليه بئس ابن العشيرة
فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من
شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن
ويقول في ظهره ما قال فالجواب انه فعله صلى الله تعالى عليه وسلم كان استيلافا
لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج عن مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما
زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة وهو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق

بجانبه

بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة
او دفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل
فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء
فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها
بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوا من عايشة كما لم
يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في
اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها او يقع لهم بمعنى عليهم قال الله
تعالى اولئك لهم اللعنة وقال الله تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على التسوية والاعلام بان
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل ان الولاء
لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتقريعهم على ذلك

Copyright © King Saud University